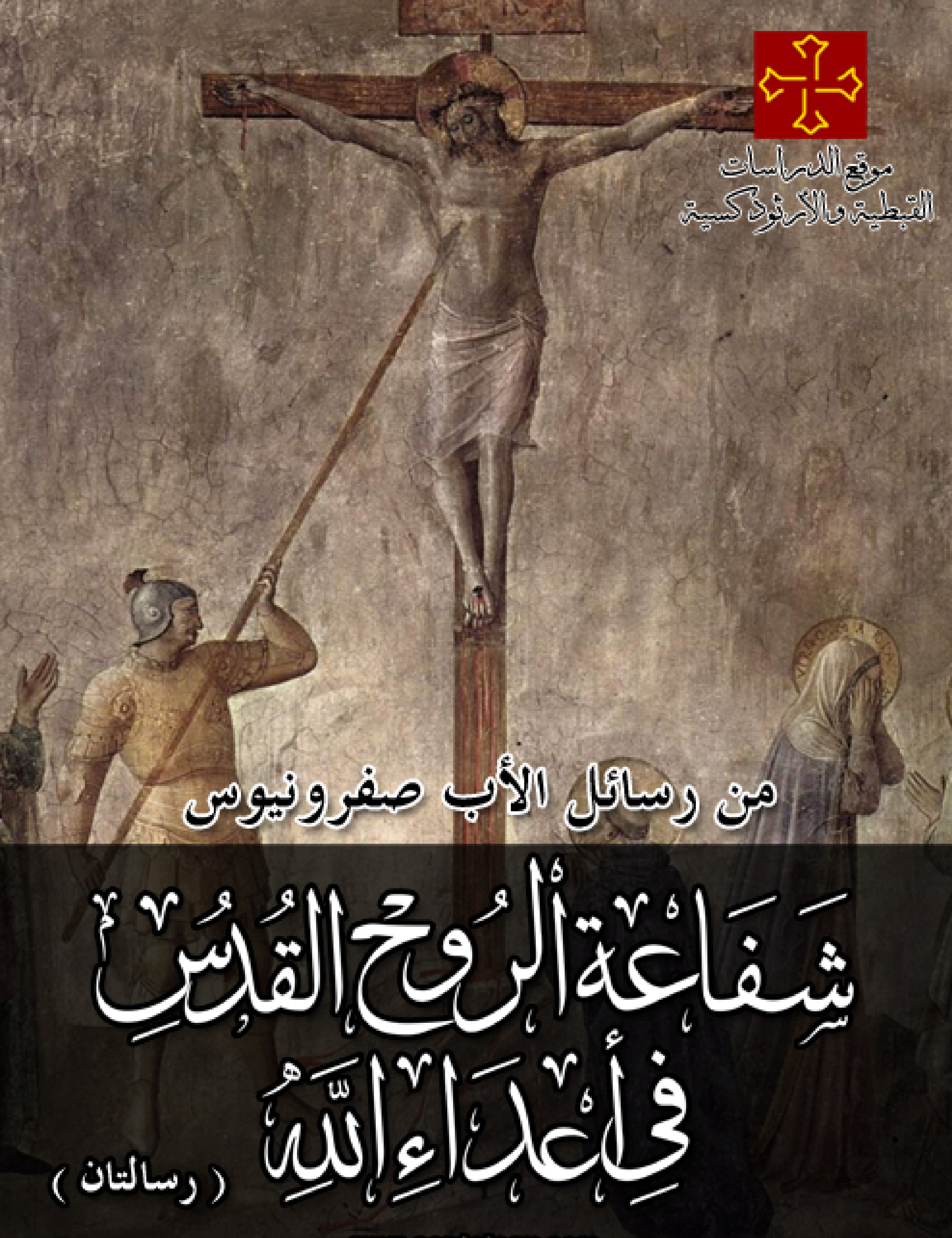


من رسائل الأب صفرونيوس

شَفاعةُ الرُّوحِ القُدُسِ فِي أعداءِ اللهِ

(رسالتان)





(رسالتان)

من رسائل الأب صفرونيوس

٢٠١١

www.coptology.org

جدول المحتويات

الرسالة الأولى

الرسالة الثانية


الرسالة الأولى

رسالة إلى الأب تيموثاوس المتوحد
حول شفاعة الروح القدس في أعداء الله

مقدمة:

١– أسألك أيها الأب الموقر أن تقبل سلامي ومحبتي في المسيح يسوع من عبد المسيح وشريك ميراثك السماوي الذي لنا معاً في المسيح، والذي ثبَّته الروح القدس.

٢– إنني لم أكتب شيئاً جديداً غير معروفٍ لنا، أو ذكرتُ أشياءً لم تكن من تسليم الشيوخ الذين كان لنا شرف غسل أرجلهم والتمتع بالتعليم الإلهي المسلَّم مرةً للقديسين (يهوذا: ٣).

ما هو سبب شفاعة الروح القدس؟

٣– أمَّا عن سؤال محبتكم عن سبب شفاعة الروح القدس، فهو سؤالٌ يليق بالقديسين، والرد عليه هو أيضاً من القديسين الذين سلّموا الإيمان الأرثوذكسي.

٤– لا يؤمن الهراطقة القدامى – مثل أريوس ومقدونيوس الذي وُصِفَ باسم "عدو الروح القدس" – بسكنى الروح القدس في المؤمنين، ولا حتى بعمله في الخليقة. ولو كان لهؤلاء الهراطقة إيمان أرثوذكسي؛ لأدركوا – من انسكاب نعمة الروح القدس على المؤمنين – أن الذي يعطي روح الآب، إنما يملك القدرة والجود والصلاح الإلهي للآب،

وهو ما يجعل عطية الروح القدس عطية إلهية لا يملك أن يعطيها مخلوقٌ من العدم مثل الأنبياء وقديسي العهد القديم، بل الذي يعطي الروح القدس هو المسيح ابن الله الآب المساوي للآب في الجوهر، وفي كل الصفات والقدرات الإلهية.

٥- وهكذا، من عطية الروح القدس لنا، ندرك أن الواهب العاطي هو مثل مصدر العطية وينبوع المحبة، الآب نفسه. وإننا عندما نوهَبْ عطية الروح القدس، فإننا ندخل في شركة إلهية مع الثالوث بواسطة الوسيط والمخلِّص الواحد والوحيد ربنا يسوع المسيح، الذي بالروح القدس يعطي لنا الشركة فيه وفي الآب بواسطة روح الحياة الأقنوم الثالث في الثالوث القدوس.

٦- وهكذا أيضاً عندما تسأل عن سبب شفاعة الروح القدس، لا سيما في أعداء المحبة أي أعداء الله، فإنني أنا أيضاً عندما سَمعت الأب ديونيسيوس الكبير والمعلِّم الصالح أثناء فترة شبابي دُهشت؛ لأنني لم أسمع ذات التعليم عندما كنت أتردد على كنيسة قرية أنصنا. وقال لي الأب ديونيسيوس: إن التعليم موجود في الأسفار المقدسة، وابتسم في وداعة ومحبة وقال لي صلِّ هذه الكلمات: "أيها الملك السماوي المعزِّي روح الحق الكائن في كل مكان، كنز الصالحات وواهب الخيرات، هلم تفضَّل وحِل فينا، وطهرنا من كل دنس أيها الصالح" (صلاة الساعة الثالثة). وقال لي إن الروح القدس سوف يرشدك إلى هذه الحقيقة، فهو الكائن في كل مكان وفي الكنيسة المقدسة، أي جماعة المؤمنين الذين هم جسد ربنا يسوع. وحلوله وسكناه في الكنيسة هو حلولٌ وسكنى خاصة غير حلوله وسكناه في الخليقة بسبب الشركة الأبدية الوثيقة التي أُعطيت للمؤمنين في المسيح.

٧- وقال الأب ديونيسيوس لقد مُسح ربنا يسوع بالروح القدس لكي يكون المسيح الرب في معموديته في نهر الأردن؛ لكي تنال الإنسانية فيه مِسحةً أبديةً، وتُمسح فيه؛ ويصبح حقاً كل من يؤمن بالمسيح "مسيحياً"، أي ممسوحاً بالروح القدس.

٨- وعندما ندرس الأقوال الإلهية نرى أن الرب يسوع حُبل به بالروح القدس ومُسح بالروح القدس وامتلأ بالروح القدس (لو ٤: ١)، وصنع المعجزات بالروح القدس، لا سيما معجزات طرد الأرواح الشريرة حسب كلمات فمه الإلهي: "أنا بروح الله أخرج الشياطين" (متى ١٢: ٢٨). ولما امتلأ بالروح القدس كان يأمر بسلطان وقوة الروح القدس (لوقا ٤: ٣٦)، وهكذا كان يصلي بالروح القدس، ولذلك "تهلل يسوع بالروح وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء" (لوقا ١٠: ٢١). وقَبِلَ الرب الروح القدس لكي يكون قبوله هو ميراثاً لنا نحن الذين – بسبب سقطتنا – لم يكن لنا شركة ولا معرفة بالروح القدس إلاَّ من خلال الأنبياء؛ لأن روح الرب لم يُعط إلاَّ لمختارين من شعب بني إسرائيل الذين مُسحوا بالروح القدس مثل موسى وداود وأشعياء وغيره. أمَّا الأمم الذين وُلِدنا منهم، فلم يكن لهم معرفة حتى باسم الروح القدس، ولا لهم نبوات الأنبياء، بل كانت معرفتهم بالابن الكلمة قاصرة على تأمل سلطانه وقدرته في الطبيعة وتدبير الكون؛ لأنه اللوغوس *Logos* الذي يسوس الخليقة ويدبرها.

٩- ولما قَبِلَ الرب يسوع الروح القدس، جَمَعَ بين عطية الميلاد الجديد بميلاده من البتول القديسة والدة الإله، ومسحة الروح القدس في معموديته، وضم الميلاد والمسحة معاً في شخصه الإلهي المتأنِّس؛ لكي يؤسِّس فيه هو لنا سر الميلاد الجديد ومسحة الروح القدس. لأننا نحن بميلاده من البتول والدة الإله قد عُدنا إلى الله الآب فيه، أي لكي نُولد على مثال ميلاده ميلاداً جديداً فائقاً، ليس "من دم"، أي من هذه الخليقة البشرية، "ولا من مشيئة جسد"، أي ليس ميلاد طبيعياً مثل ولادة الأجساد، "ولا من مشيئة رجل"، أي ليس ثمرة زواج حسب ناموس الطبيعة، "بل من الله" (يوحنا ١: ١٣)، أي أنه قَبِلَ ميلاده من الروح القدس ومن القديسة مريم. ولنفس السبب يقول الرسول بولس إن الرب وُلِدَ من امرأة، ويشرح ميلاد الرب على هذا النحو:

* "أرسل الله ابنه"، فهو الابن الأزلي "مولوداً من امرأة"؛ لكي يُولد ويصبح ابن إنسان.

* "مولوداً تحت الناموس"، أي حسب شريعة بني إسرائيل التي خضع لها لأجلنا، ولكي يضع حداً لوساطة الناموس بين الله والإنسان.

ويكمِّل الرسول البناء الإلهي ويقول: "ليفتدي الذين تحت الناموس"، وهو سبب ميلاده تحت الناموس "لننال التبني"؛ لكي نشترك في بنوته للآب بسبب تجسده، لأن الناسوت هو الذي فتح لنا طريق الأقداس، وهو الذي كرَّس لنا الدخول إلى الشركة في الثالوث. فقد أخذ الذي لنا لكي نأخذ نحن الذي له، أي بنوته. وهكذا جاء يسوع المسيح ابناً للآب حسب اللاهوت، وابناً للبشر حسب الناسوت، وجمع في شخصه بنوةً واحدةً نشترك فيها جميعاً.

ولذلك يكمِّل الرسول البناء الإلهي قائلاً:

* "ولأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبَّا الآب" (حسب الترجمة القبطية واليونانية أبَّا *Abba* [1] أيها الآب) (غلا ٤: ٤ - ٦). وهكذا عندما ينطق الروح القدس في قلوبنا ذات نداء الابن الذي نطق هو به أيضاً بالروح القدس، فإننا ننال شركةً حقيقيةً في الثالوث، ونصلِّي في الثالوث بالابن رأس الجسد الكنيسة، وبالروح الذي كوَّن هذا الجسد؛ لكي يكون — هذا الجسد، الكنيسة — هو قلب وجوهر حضوره في العالم.

١٠- وقد أكد الرب - بعد صلاته بالروح القدس - أنه قَبِلَ هذه العطية من الآب لكي يحفظها لنا بقوله للتلاميذ: "كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي. وليس أحد يعرف

---

(١) أبَّا Abba أو حسب الآرامية avva آفا هي الكلمة التي كان يستعملها الأطفال الصغار في فلسطين في زمن المسيح. وهي ذات الكلمة التي استعملها المسيح نفسه (مرقس ١٤: ٣٦).

مَن هو الابن إلاَّ الآب، ولا مَن هو الآب إلاَّ الابن" (لوقا ١٠: ٢٢). وبعد أن أعلن هذه المعرفة الإلهية الواحدة قال لنا: "إن مَن أراد أن يعرف الابن والآب، فالابن هو الذي يعلن" (لوقا ١٠: ٢٢) له هذه المعرفة.

شفاعة الروح القدس معلَنةٌ بالروح القدس نفسه:

١١- جاء الابن لكي يعلِن لنا الآب والروح كعهدٍ أبديٍ جديد غير العهد القديم الذي شاخ (عب ٨: ١٣)، وهذا الإعلان هو إعلان حياة بالكلمة، وبالتجسد، وبالروح القدس. يقول الرسول عن إعلان وبشارة كلمة الإنجيل: "إنه كلمة الحياة" (١ يوحنا ١: ١)، وعن التجسد: "رأيناه بعيوننا ولمسته أيدينا" (١ يوحنا ١: ١)، وعن الروح القدس: "وأمَّا أنتم فلكم مسحة من القدوس والمسحة التي أخذتموها (من المسيح) منه ثابتةٌ فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق" (١ يوحنا ٢: ٢، ٢٧)؛ لأنها مسحة روح الحق الذي هو من الحق، أي يسوع المسيح. لقد أعلن الربُ – بتجسده – حياته الواحدة مع الآب والروح القدس، وبشَّرنا ليس بكلمة الخلاص فقط، بل بعطية وهبة الله، الحياة الأبدية ميراثنا السماوي.

١٢- ويُعلن لنا الروح القدس محبة الله وحكمته التي تفوق حكمة العالم حسب بشارة الحياة التي يشهد لها بولس رسول ربنا يسوع المسيح. وحسب شهادة الحياة هذه، نحن لا نستطيع بكلماتنا أن ندخل شركة الثالوث، بل بكلمات الصلاة التي يعطيها لنا روح المسيح، ذات الروح الذي كان يصلِّي به يسوع، وبه تهلل، وبه نطق بكلمات الحياة، وبه أسلَمَ ذاته على الصليب قرباناً للآب (عب ٩: ١٣)؛ لكي يرُدَّنا إلى شركة الحياة في الثالوث.

١٣- نحن نأخذ روح التضرعات والتوسُّل -كما سبق وذكرت في رسالتي السابقة، ونأخذ روح الصلاة حسب كلمات الرسول نفسه الذي يعلِّمنا قائلاً: "أيها الأحباء ابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس مصلين في الروح القدس واحفظوا أنفسكم في محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية" (يهوذا: ٢٠ - ٢١). ونحن نبني أنفسنا بقوة وعمل الروح القدس على أساسٍ راسخٍ أبدي، هو يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.

نحن نأخذ هذه العطية، أي عطية الحياة لكي نتعلم من الروح القدس "كلمة الحياة" في الصلاة، وفي شرح الأسفار المقدسة، وفي حياة الشركة كلٍ مع الآخر.

كلمة الموت، وكلمة الحياة حسب الروح القدس:

١٤- توجد "كلمة الموت"، و"خدمة الموت" التي تحكم على كل الخطاة، أي شريعة موسى (٢ كور ٣: ٧)، وهذه زائلة (٢ كور ٣: ١٣)؛ لأن الموت زائلٌ، وحكم الدينونة زائلٌ رُفِعَ بالصليب (رو ٨: ١). كان الناموس يحكم بالموت، أمَّا حكم الروح فهو حياة، وهو ما عجز عنه الناموس؛ ولذلك يسكن فينا روح المسيح لكي نكون حقاً للمسيح (رو ٨: ٩). وعندما ننقاد بالروح القدس نخلص من روح العبودية، روح الخوف الراسخ فينا بسبب الداء القديم الخفي، وعند ذلك نصرخ بروح التبني مع الابن نفسه: "أبَّا أيها الآب" (مر ١٤: ٣٦ مع رو ٨: ١٥)، وعند ذلك يشهد الروح القدس أننا أبناء الله (رو ٨: ١٦). وما هي شهادة روح الحياة إلاَّ أننا نسمع منه كيف نصلي بسبب ضعف الطبع الذي فينا من آدم الأول، والذي يئن فينا محاولاً أن يجعل آدم الأول هو الصورة الأبدية، بينما تعمل عطية الله فينا لكي يصبح طبع آدم الثاني هو صورتنا الأبدية الحقيقية؛ لأن ما هو من آدم الأول غير قادر على البقاء، بل هو تحت حكم الموت وأُدين في الصليب، لأن الحس القديم الخفي هو الذي يرفض الصليب. وهكذا يفحص الآب السماوي اهتمام قلوبنا، وبسبب الشركة الواحدة للثالوث يرى الآب "اهتمام الروح

القدس" (رو ٨: ٢٦)، وبسبب الإرادة الواحدة للثالوث قال الرسول عن هذه الشفاعة أو اهتمام الروح القدس إنه "بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين" (رو ٨: ٢٧).

١٥- نحن لا نملك أن ندخل شركة الحياة بفكرنا البشري وحده؛ لأننا إذا فعلنا ذلك وصارت لنا شهرة وشهوة الكلام "نعثر جميعاً" (يع ٣: ٢)؛ لأن التعليم حسب روح الله، إنما يُعطى بواسطة الروح القدس، وهي الرتبة الثالثة في الكنيسة (١ كور ١٢: ٢٨). فكلمة الحياة لا تولد مِنا نحن الذين بدون المسيح لا حياةً لنا في ذواتنا، ولذلك السبب عينه قال الرب يسوع: "الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" (يوحنا ٦: ٥٣). وعندما يُعلَن التعليم بالروح القدس، فهو يقود إلى الحياة. أمَّا عندما يُعلَن بواسطة القوة والذكاء الطبيعي، فهو يقود إلى الموت، وهو ما يصفه الرسول مميِّزاً بين رائحة المسيح أي عطر الخلود، ورائحة الموت، أي هلاك المعلم والتلاميذ، وهم كما يقول الرسول نفسه "كثيرين"، وهؤلاء يقول عنهم الرسول: "لأننا لسنا كالكثيرين غاشين كلمة الله" (راجع ٢ كور ٢: ١٥ - ١٧). ونور معرفة الله في وجه يسوع المسيح، وهو عطية الاستنارة التي يعطيها الروح القدس في المسيح لكي تشرق عليهم صورة الله الكاملة في يسوع المسيح وتطرد الصورة الوثنية الساقطة التي رسخت في وجدان الإنسان وضميره (٢ كور ٤: ٣ - ٦).

المعلِّم الحي بالروح القدس:

١٦- وينقل الروح القدس المعرفة الجديدة للحياة من كلمات الوحي المقدس، وصلوات الكنيسة الجامعة، وشرح الأسفار لمعلمي الكنيسة، وفي كلمات التعليم الحي للمعلم الحي الممتلئ بالروح القدس وحكمة ربنا يسوع المسيح. وترى في هذا المعلم الحي أولاً: أنه يقدِّم دواء الإنجيل، أي بشارة قبول الخطاة. ثانياً: يشفي جراح الروح بالتعليم وبالمحبة. ثالثاً: يمسح آلام التائبين بالتعزية. رابعاً: يضع الرجاء الحي في قلوب صغيري القلوب، أي أنه يسير في طريق المعلم الذي هو الحياة، وهو ما سبق وأخبرنا به أشعياء

النبي: "أُبشِّر المساكين – أُشفي المنكسري القلوب – أُنادي للمأسورين بالعتق (الإطلاق) وللعمي بالبصر – وأُرسل المنسحقين إلى الحرية" (لوقا ٤: ١٨). أمَّا الذين يلجأون للغضب والقسوة والقطع وزرع اليأس في نفوس الآخرين، هؤلاء هم معلمو الموت يخدمون بقوة الموت، ويجدون لذةً في قهر الآخرين، والتلذذ بالسيطرة على أفكارهم وحياتهم إذا استطاعوا.

البارقليط المدافع والمحامي:

١٧- لا يُدافع الروح القدس عنّا ضد الآب أو ضد الابن، فهذا تجديف لا يقبله الإيمان الأرثوذكسي، وإنما المحاماة والدفاع عن الخطاة هي تقديم هبة الحياة والاستنارة بالترغيب وإشراق نور المعرفة، وبالتودد للنفس، وهو دور الروح القدس عندما يخطب الكنيسة كعروس للرب. وهو يُوحي ويُلهم في ساعات الشدة. وعند اشتداد حر النهار، أي قسوة التجارب يسمع الرسول بولس صوت شفاعة الرب نفسه بواسطة نعمة الروح القدس: "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل" (٢ كو ١٢: ٩).

١٨- وعندما يتأمل الرب يسوع جسده المقدس، أي الكنيسة ويرى الأعضاء التي اتسخت والتي تدنَّست، يسلِّمها لمياه الحياة ويتودد إليها بلطفٍ يفوق كلمات نشيد الأناشيد، إذ يقول الرب ما هو أعظم من هذه الكلمات: "أيتها الجالسة في الجنات الأصحاب يسمعون صوتك فأسمعيني" (نش ٨: ١٣)؛ لأن جسده الواحد يقول عنه الرب بكلمات يجب أن تُنقِل إلى أعماق سر محبة الثالوث: "واحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمها" (نش ٦: ٩)، فهي الكنيسة الواحدة الوحيدة التي وُلِدَت من جنب الرب، وشرِبَت من روح الحق، وتحيا بخبز الله النازل من فوق من عند الآب (يوحنا ٦: ٣٣، ٥٠)، أي جسده ودمه الأقدسين.

١٨- وما شهادة الروح القدس للابن إلاَّ شفاعة الباراقليط، فهو الذي يدافع عن الإيمان (يوحنا ١٥: ٢٦)، وهو الذي يضع شهادة الرب أمام الملوك وفي مجامع الزور والكذب، حيث يشهد روح الآب بحكمة سماوية لا يمكن للمعاندين أن يقاوموها (لو ٢١: ١٥). وعندما يتكلم الروح القدس، فهو يشرح حق المسيح بالحق لا بالكذب. بالمحبة لا بالقسوة. بالوداعة لا بالغضب. بالمعرفة لا بالجهل. بالنور لا بالظلام. وينقل كلمات التعليم الحي؛ إذ يضعها على لسان الذين يتكلمون وأقلام الذين يكتبون من أجل شهادة يسوع. فالدفاع هو الشهادة، وهو شهادة الحياة، أي شهادة الروح للحياة الذي تجسد، أي الابن الوحيد.

شفاعة الروح وحوار الثالوث القدوس:

١٩- يتكلم السيد الرب مع الخليقة، فهو يدعو الكواكب بأسماء (مز ١٤٧: ٤). ويتأمل الرب الذين دخلوا معه في عهد المحبة الأبدي ويقول عنهم: "هوذا على كفي نقشتك" (أش ٤٩: ١٦)، فالرب لا ينسى، بل يذكر، وهو لذلك يعاتب الشعب القديم ويقول: "هل تنسى الأم رضيعها فلا ترحم ابن بطنها. حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك" (أش ٤٩: ١٥). وعندما يُرسل الرب كلمته من فوق مثل مطر السماء لكي يروي الأرض، "هكذا تكون كلمة الرب التي تخرج من فم الرب لا ترجع إلى الرب فارغة" (أش ٥٥: ١٠ وما بعده). وكيف يرى النبي عمل كلمة الله وهو ينادي البشر ويعطي لهم الفهم[١] ولذلك بشفاعة الروح القدس يكون للرب اسماً علامةً أبديةً لا تنقطع (أش ٥٥: ١٣)؛ لأن الرب يرسل لنا كلمة الحياة وينقلنا بمعرفة الحياة بروح الحياة إلى شركة الحياة؛ لأنه "يُحيي روح المتواضعين وقلوب المنسحقين" (أش ٥٧: ١٥)، فهو لا يخاصم إلى الأبد (أش ٥٧: ١٦)، بل يحامي كما يقول النبي: "فينقذ ويعفو فينجي" (أش ٣١: ٥).

---

(١) أحد ألقاب الله أو صفاته في القداسات الأرثوذكسية "المناجى" من مناجاة الخليقة والمؤمنين بشكل خاص.

ويرى الملك داود عمل خلاص الرب الذي يحب المتواضعين، وبالروح القدس يقول: "إن سلكت في وسط الضيق تحيني. على غضب أعدائك تمد يدك وتخلصني يمينك. الرب يحامي عني. يا رب رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخل" (مزمور ١٣٨: ٧ – ٨). وعندما هرب داود من مطاردة شاول الملك بسبب غيرة وحقد الملك، فهو يسأل رحمة الله: "لأنه بك احتمت نفسي وبظل جناحيك احتمي إلى أن تعبر المصائب. أصرخ إلى الله العلي إلى الله المحامي عني يرسل من السماء ويخلصني" (مز ٥٧: ١ – ٢). فهو يرسل من السماء من فوق، حيث صعد يسوع، روح المحاماة أي البارقليط؛ لكي يضع كل التعابى المجروحين تحت جناحي الحمامة الروح القدس؛ لكي يخلِّص بوداعته، وهي أقوى من قوة وشراسة كل القوى الشريرة مجتمعة. وصار الرب لنا نحن في أرض مصر حسب وعد الرب على لسان أشعياء "مخلصاً ومحامياً أي البارقليط روح الرب" (راجع أش ١٩: ٢٠).

٢٠– وعندما يتحدث الآب مع الابن، والابن مع الآب، والروح مع الآب والابن، فإن الحديث هو ذكرى الخليقة بأسرها، وذكرى الذين صار لهم شركة في بنوة الابن ونالوا ميراث الحياة في المسيح. هؤلاء الذين نُقِشوا على كف المسيح بمسامير الصليب، وهم أمامه نهاراً وليلاً يدخلون شركة الصلاة حيث "يلقِّن" الروح القدس كلمات الصلاة لكي تدخل قلوبهم وتستنير عقولهم، وبشفاعة الروح القدس يدخلون قدس الأقداس عندما يعرفون مشيئة الآب السماوي، وبفرحٍ يخضعون لها.

شفاعة الروح القدس في أعداء الله:

٢١– لقد سمعت أنا هذه الكلمات عينها من الأب ديونيسيوس وقرأتها عند اسحق العظيم (مار اسحق السرياني) معلِّم البر والنسك الصحيح. وتأملت قوة هذه

العبارة، أي "شفاعة الروح في الذين يحاربون الله". فقد شفع الروح القدس في أريوس نفسه بواسطة كثيرين مثل معلمنا العظيم أثناسيوس[١]. وشفع الروح في كل الذين سلكوا طريق النسك الصحيح بتعليم الحياة في رسائل وسيرة الكبير في مجمع الرهبان أنطونيوس. وشفع في مجمع الإسقيط بيوحنا القصير وبيمن بالتعليم عن الإفراز. وشفع في كل الذين يسلكون طريق التوبة بالاعتدال الذي أخذه معلِّمنا باخوميوس. وماذا نقول عن عظات أبينا الكبير لابس الروح القدس مكاريوس؟

٢٢- وإذا تأمّلنا حال أعداء الله ووجدناهم بعيداً عن محبته، أدركنا أنهم يحتاجون إلى استنارة الروح القدس وإلى كلمة الحياة لا حكم الموت. وماذا تكون شفاعة الروح القدس في أعداء الله إلاَّ التودد الدائم بواسطة البشر والمعلمين، وتجارب متنوعة، وضيقات في الجسد، وشهادة من داخل القلب ومن خارج عند الذين يتعاملون مع أعداء الله. يعمل الروح القدس كل هذا؛ لأنه روح الرب الذي "يبسط يده" طول النهار -كما قال أشعياء - إلى شعب معاند. فالله لا يسلك بالبغضة والحقد كما يسلك البشر. وعندما يغضب، فهو لا يحفظ الغضب ولا يحقد إلى الأبد (مزمور ١٠٣: ٩) مثل الخطاة.

---

(١) عبارات الأب صفرونيوس هنا جديرة بالاهتمام، فهي تلفت نظرنا إلى ذلك العمل الرسولي الذي يؤكده رسول المسيح القديس يعقوب: "أيها الأخوة إن ضل أحد بينكم عن الحق، فرده أحد فليعلم أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا" (يع ٥: ١٩ - ٢٠). في هذا الإطار يجب أن نفهم أن الدفاع عن الإيمان هو جزء من شفاعة الروح القدس الذي يقيم معلمين أصحاء قادرين على التعليم لكي يردوا من ضل إلى طريق الحياة. هكذا يجب أن نفهم أن رد الكنيسة على الهراطقة إنما يمر بعدة مراحل: هي الحوار في المجامع المكانية، وتقديم حجة التسليم الكنسي ثم الخطابات التي تسبق جلسات المجامع، ثم الحكم بعد سماع دفاع الهراطقة عن التعليم الذي ينادون به. لعل عبارات الأب صفرونيوس تجعلنا نفهم أن الدفاع عن الإيمان وشرحه هو نوع من غرس الحقيقة بواسطة التعليم لأن التعليم الكنسي الصحيح هو الذي يعيد كل إنسان إلى طريق الحق، أي طريق يسوع المسيح الذي قال: "أنا الحق"، وإلى عمل "روح الحق المعزِّي" البارقليط.

لماذا يجب أن نغفر حتى نبقى في شركة الروح القدس:

٢٢- لقد تأملت طويلاً في إصرار الرب العجيب على تأكيد أن عدم مغفرة الإساءة وخطايا الآخرين يحرمنا من غفران الله نفسه وهو عطية الآب السماوي لنا بالمسيح وفي الروح القدس. ومَن يدقق في ترتيب الحياة الروحية (حرفياً طقس الحياة الروحية) يجد أن كل مولود امرأة لا يخلو من الخطية، وبالتالي الذي لا يغفر ينكر بشكل علني أنه خاطئ، وهذا يحرم المتعجرف من غفران الله؛ لأن الله يغفر لمن يعترف بخطاياه. وحفظ الإساءة هو كبرياء وعجرفة ظاهرة تحرم كل متكبر من نعمة الله؛ لأن المتكبِّر يجد في كرامته الزائفة التي بناها لنفسه الحصن الزائف الذي يختبئ فيه خلف الخداع والغش والكذب ويبقى فيه غير قادر على قبول ضعفات الآخرين.

٢٣- وعدم مغفرة خطايا الآخرين يخفي خلفه خوفٌ هائل من خطايا مستترة يخاف المتكبِّر أن يراها الناس، ولذلك يظن أن القسوة هي حماية ودرع يحميه من نقد ودينونة الآخرين، وهذا وهمٌ لا يختلف عن وهم الكبرياء أم كل الشرور.

٢٤- وعدم مغفرة خطايا الآخرين يعني وجود إحساس مزيَّف بالكمال، وهو الإلوهة الكاذبة التي تزرعها المعرفة الكاذبة فينا. وكل مَن تألَّه بالمعرفة إنما يزاحم الكامل والصالح وحده الآب السماوي. ومَن يجلس على عرش الدينونة الخاص بالله وحده لا ينال غفران خطاياه، بل دينونة مخيفة؛ لأنه أخذ مكان عرش الديان، وهذا هو أبشع أنواع الاستهتار الذي تزرعه الكبرياء فينا.

٢٥- وعدم مغفرة خطايا الآخرين هو دليلٌ واضحٌ على عدم وجود محبة الله في قلوب الحاقدين والذين تربوا على العداوة، فالله القادر على كل شيء وضابط الكل يغفر كل الذنوب وأبواب رحمته لا تُغلق حتى أمام المتكبِّرين؛ لأن مأساة المتكبرين هي في عجزهم عن الانحناء للدخول من باب الرحمة الإلهية. وماذا نقول إذا تمسك إنسان بالحقد والكراهية ووضع ذاته خارج تدبير المحبة الإلهية المعلن في الذي مد يديه على الصليب لكي يصالح الكل بدم صليبه (كو ١: ٢٠).

خاتمة:

٢٦- أيها الأب الموقر والجليل، لقد أجبت على أسئلة محبتكم حسبما استطعت وحسب التسليم الذي قبلته أنا الصغير المدعو صفرونيوس بالاسم، والذي لم يصل إلى قامة الذين حملوا ذات الاسم، أسأل محبتكم أن تضيف إلى ما ذكرت ما تراه مناسباً ومن أجل منفعة الأخوة.

صفرونيوس عبد المسيح يسأل بركة صلواتكم.

الرسالة الثانية

شفاعة الروح القدس في أعداء الله

مقدمة:

١- صفرونيوس عبد يسوع المسيح وأسير فضل ونعمة الإنجيل الذي بشَّرَنا به الرسل والآباء، وسلَّمه إلينا شيوخ وشهود أمناء لمحبة الله ودعوته العليا لنا نحن البشر. سلامٌ في الله الآب الذي أرسل ابنه الوحيد لكي يصالح كل الذين كانوا أعداء له في الفكر (كو ١: ٢١)، ونعمةٌ لكم في يسوع المسيح الذي نَقَضَ كل قوة العداوة، وغَرَسَ الصليب شجرة حياة تعطي ثمرة بر وقداسة وقيامة بالروح القدس الذي قدَّس ذبيحة محبته؛ لكي يوحِّد الحياة بالموت، ويحول الموت إلى موتٍ محيي، وينقل كل شيءٍ قديم من آدم الأول إلى آدم الأخير الرب من السماء (١ كور ١٥: ٤٧).

لماذا أرسل الآب روح ابنه؟

٢- يقول الرسول: "ولأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبَّا أيها الآب" (غلا ٤: ٦)، فجاء الكلي القداسة لكي يسكن في المؤمنين معلِناً لهم بنوةً مجيدةً أزليةً كانت في تدبير الآب، وأُعطيت في الزمان في ابنه الأزلي يسوع المسيح ربنا. هكذا جَمَعَ تجسد الابن الأبديةَ والزمان معاً، وأخضع الزمان للأبدية، فصار خادماً لها، وتم وعد الله الآب أن يمتلئ الزمان بكمال عطية الله الصالحة حسب كلمات التقوى الأرثوذكسية: "في ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس لكي ننال نحن الذين تحت الناموس عطية التبني" (غلا ٤: ٤ - ٥).

ولأن ربنا يسوع المسيح له المجد هو الملء، وفيه حلَّ ملء اللاهوت، ومنه امتلأت الكنيسة جسده الواحد بكل ملء اللاهوت (كو ٢: ٩)، صار الزمان وعاءَ نعمةٍ، ولم يعد مرور الأيام يخلع على نعمة الله الشيخوخة والقِدَم وعدم الجدوى، بل ثبَّت الله نعمته الواهبة الحياة الأبدية فوق كل حدود الطبائع وتعاقُب الدهور، وجعلها نبع حياة لا ينضب، ولذلك أرسل الروح القدس إلينا بعطايا جديدة، ومواهب سماوية لم تكن في العهد القديم، إذ مسح أنبياءَ جدد، وأعطى نعمة التكلم بالألسنة، ووهب إخراج الشياطين، وإقامة الموتى، وعطية التعليم، وتمييز الأرواح، وتدبير الكنيسة، ومواهب الشفاء، وكل هذا لا يقاس بعطية التبني التي هي شركتنا نحن الترابيين في مجد بنوة الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح، لأنها عطية أبدية وليست عطية تدبيرية[١].

٣- وهكذا سكن الروح القدس في أنبياء وبعض ملوك العهد القديم حسب دعوة الله واختياره، ولكنه يسكن الآن في كل المؤمنين حسب دعوة الله في ابنه يسوع المسيح الذي جاء وتجسد لكي يجمع كل البشر تحت رأسٍ واحد، هو رأس آدم الثاني؛ لأن هذا هو غاية تدبير تجسد ابن الله الذي به شفى البشرية من الانقسام.

٤- ومن الرب يسوع المسيح أخذنا هبة الروح القدس، ليس حسب أعمال تقوى أو برٍ عملناها، بل حسب دعوة الله العليا في يسوع المسيح. وهكذا أخذنا الروح القدس لكي يثبِّت الروح القدس وجودنا في المسيح، ليس لأن وجودنا في المسيح ضعيف أو ناقص، بل لأن وجودنا في المسيح هو الطريق الوحيد لشركتنا الكاملة في الثالوث القدوس، ولذلك السبب عينه أعطانا الرب يسوع المسيح الروح القدس، كما وهب لنا ذاته في ميلاده من القديسة مريم، ووهب لنا روح مسحته في الأردن، وشركة آلام وموت الصليب، وتوسل جثيماني، ووهب لنا مجد قيامته الذي أخذه من الروح القدس (رو ٨: ١١) لأجلنا؛ لكي

---

(١) العطية الأبدية، هي العطية الباقية إلى الأبد. أمَّا العطية التي تعطى للتدبير، فهي عطية مؤقتة مثل إخراج الأرواح النجسة، والنبوة، ومواهب الشفاء، مثل هذه العطايا لا حاجة لها في الدهر الآتي.

نقوم نحن بشركة الروح القدس، ثابتين في الابن والآب.

شركتنا في الآب:

٥- وعندما نشترك في الابن والروح القدس، فإننا نشترك في الآب، ليس فقط لأن الآب هو الينبوع والمصدر، بل لأن شركتنا في بنوة الابن هي شركتنا المباشرة في الآب؛ لأن ربنا يسوع المسيح مولودٌ دائماً وأزلياً من الآب. وعندما ننال فضل ونعمة التبني، فإننا نعود إلى الآب بابنه يسوع المسيح وفي الروح القدس. وعندما نقول: "في الروح القدس"، فإننا نقصد من ذلك "مجال الحياة"[١] و"مجال النعمة" الذي يعطيه الروح القدس لنا. هذا المجال هو الروح القدس نفسه الذي فيه نتحرك بعطية الحياة الجديدة لكي ننال شركتنا في حياة الثالوث. وحركتنا نحن البشر وإن كانت نابعة من إرادتنا، إلاَّ أن النعمة تُحرِّك الإرادة الإنسانية، ويُلهم الروح القدس العقل جاذباً إياه نحو المسيح لكي يتم الاتحاد بين الطبع الآدمي القديم أي طبعنا، والطبع الآدمي الجديد القائم من الأموات، أي ربنا يسوع المسيح وبذلك يُبتَلَعُ المائت من الحياة (٢كور ٥: ٤)، ويتم سيادة الجديد على القديم؛ لأن القديم قد تحول وصار جديداً بالمسيح وفي الروح القدس.

شفاعة الروح القدس في المؤمنين:

٦- حسب تعليم الآباء التوسل والتضرُّع هو ثلاثة أنواع:

* توسل الخطاة وتضرعهم بانسحاق وطلب المغفرة.

* توسل وتضرُّع القديسين بتواضع وثقة في مراحم الرب الغنية من أجل خطاياهم ومن

---

(١) مجال هي الكلمة اليونانية القبطية scopos وهي ذات الكلمة الانجليزية scope وتعني الدائرة، أو منطقة رؤية معينة معروفة. استخدمها الآباء في عدة مؤلفات لشرح مجال الإعلان الإلهي في الأسفار المقدسة.

أجل العالم وكل ما فيه.

* توسل الروح القدس، الذي يتم على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إلهام الخطاة والمؤمنين والبشر جميعاً بالصلاة والتضرع. ويعمل الروح هنا مثل قائد الفرقة الموسيقية التي يقود أكثر من عازف لكي ينطلق الشكر والتسبيح من كل الخليقة المنظورة.

الدرجة الثانية: وهي أنَّات الروح القدس في القديسين عندما يرفع عقول هؤلاء، وهو يئن سائلاً لهم المجد الأزلي الذي يحترق عطشاً لكي يهبه لنا، ثم تقف رؤية القديسين عند حدود وعجز الإدراك وعين الروح الإنسانية. هنا يتوسَّل الروح للنفس الإنسانية، أي روح الإنسان لكي تترك كل الأمور الحقيرة وتسلك طريق الله نفسه، وعندما تعجز الروح الإنسانية، ينطلق توسل الروح القدس بذلك الأنين الذي يفوق كل عقل بشري وقدرة النطق. يقول النبي بالروح القدس مصلياً للآب: "أين زفير أحشائك ومراحمك" (أش ٦٣: ١٥)، وهذا هو أنين الروح.

الدرجة الثالثة: توسل الروح القدس وهو ليس توسل الانسحاق، بل توسل البارقليط (المعزي) الذي يدافع عن الخطاة ويشفع في القديسين، ليس لأن الآب أقل عطفاً وأكثر قساوةً، وإنما هو توسل التمني، وتوسل رجاء المساوي، وجسارة من هو واحد في الجوهر لكي يعطي الثالوث مجده للقديسين، ويوحِّد التائبين بالمصلوب، ويقدِّس المتكلين على الله بقداسة الأزل لكي يصيروا حقاً أبناء الآب.

٧- وقد أعلن الرب شفاعة الروح القدس بكلمات واضحة مؤكداً أنه "يُعلِّم ويُذكِّر"، ويحكم على الخطايا، ويخبر بما هو آتٍ، ويثبِّت كلمات الرب نفسه، إذ يعمل في ذاكرة الكنيسة من آنٍ لآخر؛ لكي لا تنسى الكنيسة كلمات الحياة.

وبسبب سقوط الإنسان صارت الذاكرة هي أضعف القوى الروحية في الإنسان، لأن الإنسان بسبب الانقسام والصراع الداخلي ومقاتلة قوى النفس العاقلة كل الآخر، تصاب ذاكرته بالضعف، ويحتاج من آنٍ لآخر أن يتذكر كلمات الحياة ومواعيد الله؛ لأن الخطية تزرع في الإنسان الشك في صدق الله.

ولعل أكبر جراح الخطية هو انقطاع الصلة بين الفكر والشعور، وحيرة الفكر وعجزه أمام ما يدركه الشعور "بالحس والحدس" معاً، فلا يصدقه الفكر ضارباً عرض الحائط بما يراه القلب؛ لأن الشك يُولد من العقل المنقسم ويدوم فيه حتى يطهِّر الروح القدس فكر الإنسان، وينير أحكام الذكاء، ويقدِّس المخيِّلة. ويلي ذلك جرحٌ آخر وهو أن يصدِّق الخاطئ فكره وأحكامه، ويكذِّب كل حكم آخر ولو كان صحيحاً. وهذا هو السبب الذي جعل الآباء الشيوخ يقررون أن تعلم الإفراز وضبط التمييز هو قاعدة الحياة الروحية السليمة ووجودها هو علامة صحة روحية وعافية الإنسان الجديد المخلوق حسب الله وليس حسب فكر آدم الأول، أي المخلوق حسب الله في البر وطاعة الحق.

شفاعة البارقليط المعزي كما وردت في الأسفار المقدسة:

٨- لا يتوسل الروح للآب والابن كما يتوسل الخطاة والقديسين، بل يتوسل، توسُّل المحبة الذي عبر عنه أشعياء النبي معلِناً حزن الثالوث بقوله: "بسطت يدي طول النهار إلى شعب معاند" (أش ٦٥: ٢)، وهكذا مدَّ الله يده طول النهار لكي يصافح ويصنع الصلح مع عبدة الأوثان وناكري عهد الله. وبسبب محبة الله للصلح وللغفران يقول المزمور إنه "الباسط السموات" (مز ١٠٤: ٢)، أي الذي يمد يده دائماً ليحفظ كل الأشياء. وطالما أننا نرى السموات "مبسوطة أمامنا" بيد "باسط السموات"، وَجَبَ علينا أن نبقى في الرجاء الحي في رحمة الرب وغفرانه. فالثالوث هو نبع المصالحة وهو يمد حياته وليس فقط يده بتجسد الابن الوحيد.

٩- هكذا يئن الله في روحه، ويعلن ذلك الأنين للنبي: "كنتِ عريانة وعارية فمررت بك ورأيتك وإذا زمانك هو زمان المحبة. فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك وأقسمت (حلفت) لك ودخلت معك في عهد يقول السيد الرب، فصرت لي. فغسلتك بالماء وبيدي أزلت دمك ومسحتك بالزيت .. وخرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك يقول الرب" (حزقيال ١٦: ٧ - ١٤). وبعد ذلك يذكر الآب خطايا تلك التي يحب وسقوطها في الوثنية وخطايا الوثنية الشريرة (حزقيال ١٦: ١٥ - ٢٦). وهكذا يرتفع الأنين والتوسل بكلمات لا يخطئ من يعرفها: "ما أمرض قلبك" (حزقيال ١٦: ٣٠). وهذا ما يقوله الروح القدس في صلوات الكنيسة (الأواشي بشكل خاص) "أذكر يا رب" لأنه يرفع تذكار الكنيسة بما هو كائن في روح الله أي لحم ودم ابنه الوحيد الذي منه تكوَّنت الكنيسة والذي هو، أي ربنا يسوع "جالسٌ على يمين العظمة في الأعالي".

١٠- وهكذا أيضاً بأنَّات الروح القدس يستر الرب خطايا شعبه (مزمور ٨٥: ٢)، لأن الروح القدس يقول على لسان الحكيم: "المحبة تستر كل الذنوب" (أم ١٠: ٣٢). وهكذا يكلِّم الرسول ضمير الكنيسة مؤكِّداً أن يكون لنا يقظة روحية حقيقية: "اصحوا للصلوات"، فالصلاة هي في مجال عمل روح الله. وبعد ذلك يؤكد: "ولكن قبل كل شيء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا" (١ بطرس ٤: ٨)، ولاحظوا عبارة الرسول وهو يعيد كلمات سليمان الحكيم حتى لا يظن أحد أنه يوجد فرق بين كلمتي "كل" و"كثرة". وكيف تستر المحبة كثرة الخطايا إلاَّ لأن روح المحبة، روح الآب، الروح القدس هو الذي يسكب محبته بأنين الاشتياق للغفران والتجديد وستر الذنوب لكي يُظهِر الخليقة الجديدة أمام الخليقة غير المنظورة في بهاء ومجد ابن الله ربنا يسوع المسيح.

١١- أتوسل إليكم في اسم ربنا يسوع المسيح أن لا تذكروا خطايا غيركم مهما كانت لئلا نفقد قوة الروح القدس وشفاعته؛ لأنه لا يُسَّر بذكر خطايا الآخرين لا سيما

تلك التي نتلذذ بذكرها بشماتةِ مَن يفرح بسقوط الآخرين، لأن هذا غريبٌ عن محبة الله التي قال عنها الرسول: "المحبة لا تفرح بالإثم" (١ كور ١٣: ٦). فلا نفقد عمل الروح فينا بسبب ذلك الضعف الظاهر، أي الحكم وإدانة الآخرين والشماتة الظاهرة في ذكر خطاياهم.

١٢- يقول النبي أيضاً: "والآن قال الرب"، وبقوله "الآن" أكَّد أن صلاة القديسين وصراخ البائسين قد تناغم مع شفاعة الروح القدس، ولذلك يقول النبي بعد ذلك: "في وقت القبول استجبتك وفي يوم الخلاص أعنتك فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب" (أش ٤٩: ٨)، وبعد ذلك - بروح الآب القدوس - يخاطب الروح والنبي معاً السموات والأرض: "ترنمي أيتها السموات وابتهجي أيتها الأرض .. لأن الرب قد عزَّى شعبه وعلى بائسيه يترحم" (أش ٤٩: ١٣).

١٣- وهذا هو الوجه النبوي لشفاعة الروح القدس، يعلنه أشعياء النبي كجوهر إنجيل ربنا يسوع المسيح عندما يخبر بعصر الروح القدس الذي سوف "يبشر المساكين" بملكوت السموات، "ويعصب المنكسري القلوب" برجاءٍ حي وبسكنى روح التعزية الذي يقدِّمه روح المسيح، أي البارقليط. وعندما ينادي الروح للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالحرية، فهو ينادي بصلوات الكنيسة، وينادي كل أسير على حدة، ويطلق أنين الحرية في كل قلب لكي ينال رجاء الحياة الجديدة. وهكذا يعزِّي روح ربنا يسوع المسيح "كل النائحين"، ويسكب عليهم مسحة التقديس لتكون لهم جمالاً عوضاً عن رماد الانكسار، ويمسح بدهن الفرح (الكلمة القبطية الغليلاون وهو المسحة التي تسبق التعميد)، ويعطي كلمة التسبيح كرداءٍ للعقل، وينزع روح اليأس ويطرد "صغر القلب"، ويرتفع الحمد والتمجيد لذاك الذي هو أصل الحياة فينا ورجاء الأبد (راجع أشعياء ٦١: ١ - ٣). وهكذا بشَّر الربُ بعد معموديته عندما جاء إلى الناصرة وقرأ كلمات النبي أشعياء في المجمع، ولذلك دُعيَ "ناصرياً"، أي الغصن الجديد الذي لداود ومسيح الرب الذي يُخرج الحق، أي فداء وخلاص الإنسانية.

شفاعة البارقليط في المصلوبين مع يسوع:

١٤- يلهم الروح القدس أحباء الله بالصلاة والتضرع لأجل سلام العالم، ولذلك يقول النبي أرميا: "هكذا قال الرب رنموا ليعقوب فرحاً .. وقولوا خلص يا رب شعبك بقية إسرائيل .. بالبكاء يأتون وبالتضرعات أقودهم" (أرميا ٣١: ٩). فالروح هو الذي يقود صلاة الكنيسة الجامعة؛ لأجل المصالحة، وتوبة الخطاة، وكمال المؤمنين، وطهارة الكنيسة جسد المسيح. فالروح هو الذي يطهِّر المؤمنين ويقودهم إلى التوبة. وكما حمل المسيح "شبه جسد الخطية"، أي الجسد القابل للموت، هكذا يحمل الروح القدس تضرعات شعب الله. وكما نما ناسوت الرب بالاتحاد به وبأقنومه الأزلي، هكذا ينمو جسد المسيح الكنيسة بمسحة وعمل الروح القدس الذي به كان ينمو ناسوت الرب نفسه؛ لأنه ليس باطلاً أنه مُسح بالروح القدس، بل مُسح لكي نُمسح نحن فيه وبه. وعن هذا قال الرسول: "ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله، الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢كور ٢: ٢١ - ٢٢). فالروح القدس هو الذي يثبِّتنا في المسيح من أجل الثبات في الشركة الكاملة للثالوث القدوس.

١٥- وكما تكوَّن جسد الرب في أحشاء البتول الطاهرة القديسة مريم بدون زرع بشر، هكذا يكوِّن الروح القدس أعضاء جسد المسيح أي المؤمنين، في الماء والروح في سر الحميم الإلهي. وكما يقول المزمور إن مسحة ربنا يسوع المسيح تنحدر من الرأس، أي ربنا نفسه "مثل الطيب النازل على الرأس ومنه إلى طرف ثيابه" (مزمور ١٣٣: ٢) إلى كل أعضاء الجسد، هكذا ننال ذات الحياة الجديدة التي كانت لابن الله وهو في الجسد، لتكون حياتنا من حياته، ومحبتنا من محبته وأبديتنا من أبديته.

١٦- وقال ربنا: "لأجلهم أقدس ذاتي ليكونوا مقدسين في الحق" (يوحنا ١٧: ١٩). ونحن نتقدس فيه ليكون لنا حياة الابن الوحيد، وهو جوهر شفاعة الروح القدس؛ لأنه يشفع فينا لكي نقبل آلام ربنا وموته المحيي في أرواحنا وأجسادنا، ولكي نستنير بنور

الصليب، وننال معه وفيه القيامة التي نالها من روح الآب؛ لأن الروح القدس الذي كوَّن جسد الرب وناسوته في أحشاء والدة الإله ومسحه في الأردن وبه قدَّم الابن ذاته على الصليب المجيد، هو الذي أقامه من الأموات، فهو روح قيامة المسيح (رو ٨: ١١). وهكذا ينقل الروح القدس حياة المسيح إلينا وموته وقيامته وكلماته المحيية، ويحولنا إلى أعضاء نقية طاهرة. وعندما يزرع الروح القدس هذا كله فينا، فهو يصبح الشفيع المحامي والضامن لكل بركات الدهر الآتي وأولها الحياة الأبدية وآخرها الجلوس عن يمين الآب مع ابنه الوحيد.

١٧- وهكذا يشفع الروح القدس في الذين يُصلَبون مع الرب. وقد شهد الإنجيلي لوقا في سفر الأعمال أن الشهيد اسطفانوس امتلأ بالروح القدس وعاين مجد ابن الله، وتشبَّه به، أي بالمصلوب، فقال ذات جوهر كلمات المسيح: "يا رب لا تحسب عليهم هذه الخطية" (أع ٨: ٥٥ - ٦٠).

شفاعة شركة الابن والروح القدس:

١٨- أعطانا الابن الوحيد الروح القدس، وفيه أعطانا كل ما هو جديد وأبدي. وأعطانا الروح القدس الابن الوحيد، وفيه أعطانا البنوة والشركة الأبدية مع الآب. تحرك الآب بحنوه وعطفه ومحبته للبشر وأعطانا حياة ابنه. وتحرك الابن بحنوه وعطفه ومحبته للبشر، فصار بشراً مثلنا وقدَّم بذلك ضمان محبته ومحبة الآب ومحبة الروح القدس في بشريته التي أخذها من القديسة مريم والدة الإله. هلم الآن نتأمل أعماق هذه الشركة على قدر فهمنا وعلى قدر ما نملك من ألفاظ وكلمات.

١٩- محبة الثالوث محبة واحدة لا تنقسم. وما نأخذه من أقنوم من الأقانيم هو مشتركٌ بين الأقانيم، أعني مصدره، وإعلان العطية لا يجعلها قاصرة على أقنوم دون أقنوم، فهذا تعليم الهراطقة الذين قسَّموا جوهر الثالوث الواحد، وفصلوا الثالوث؛ لأن وحدانية جوهر

الله كانت أعظم مما تحتمله عقولهم وحسهم الروحي الغارق في أحكام الفلسفة والفكر البشري المتألِّه بالمعرفة والغير المتألِّه بالنعمة. ورفض الهراطقة لوحدة جوهر الثالوث هو رفضٌ لوحدانية الله. وفصل أقانيم الثالوث هو فصلٌ لكل صور الاتحاد، بل حتى الائتلاف، وهو انعكاس شر الإنسان وسقوطه على إعلان النعمة الإلهية.

تأمَّل متاهات الهراطقة ومماحكاتهم حول ألفاظ وكلمات، كأن الإيمان موقوف على كلمة أو أكثر، أو أن كلامنا نحن هو الذي يحدد الإيمان، بينما الحقيقة المعلنة لنا هي تجسد ابن الله، وهذا ليس حديثاً أو لفظاً يُقال، بل حياة ونعمة تعطى، ورئاسة جديدة للبشرية لكي تنال منه – كآدم الأول – النِّعم والمواهب الجديدة التي تردنا إلى الله وتوحِّدنا به من جديد بعد أن فقدنا هذه الوحدة بالخطايا والشرور، وصارت لنا إلوهة كاذبة متجذِّرة في المعرفة الشريرة التي صارت لنا شريعة الهلاك والموت التي تحكم بالانفصال وبالموت على غيرنا من البشر وعلى كل ما يختلف مع الأهواء والأفكار والقيم التي خلقها الشر فينا.

٢٠– وهكذا جاء الابن إلينا بمحبة واحدة لا تنقسم، وأعلن الآب في تجسده، وأعلنه الروح القدس ربَّاً ومسيحاً وإلهاً مساوياً للآب؛ لأن الابن أعلن الآب، والروح أعلن الابن، ومن الابن أخذنا معرفة الآب، ومن الروح القدس أخذنا معرفة الابن، ومن الآب والابن أخذنا معرفة الروح القدس. فقد كان الروح مع الأنبياء في العهد القديم، وكان شريكاً للابن في خدمته، وكان هو الذي رتَّب دخوله إلى العالم، وهو الذي هيَّأ له الجسد حسب مشورة وتدبير الثالوث. وإذا قلنا إن الروح هيَّأ جسد الابن، فهذا لا يعني أن الابن كان سلبياً لم يشترك، بل قدَّم ذاته للتجسد. لأن للثالوث إرادة واحدة وجوهر واحد، وما يقوم به أقنوم يقوم به الثالوث الواحد، وما يعمله الابن، إنما يعمله بالآب وبالروح. وما يقوله الابن عن نفسه وعن الآب هو ما يقوله الثالوث؛ لأن الثالوث واحد، جوهر واحد، إرادة واحدة، محبة واحدة، تخلق وتكوِّن الجسد الواحد الكنيسة المقدسة.

٢١- وعندما سلَّم الابنُ الكنيسةَ للروح القدس، فقد كان تسليم شركة وليس تسليم انفصال وغيبة، بل تسليم حياة واحدة وإرادة واحدة. وعندما قال: "لا أترككم يتامى"، فقد قال بعد هذه الكلمات مباشرةً: "إني آتي إليكم" (يوحنا ١٤: ١٨). وعندما قال: "أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يوحنا ١٤: ١٦)، فقد كان يؤكِّد أنه سوف يجيء إلينا بعد أن يعد لنا مكاناً (يوحنا ١٤: ٢)، مؤكِّداً لنا أننا لا نقدر أن نذهب معه (يوحنا ١٣: ٣٣)؛ لأنه دخل إلى قدس الأقداس المكان والرتبة التي لم يدخلها أي إنسان[١]، لأنه دخل كرئيس كهنة الخيرات الآتية وهي رئاسة ورتبة لا يشترك فيها أحد معه لأن لنا "وسيط واحد وشفيع[٢] واحد بين الله والناس يسوع المسيح" (راجع ١ تيموثاوس ٢: ٥).

٢٢- ولماذا قال سيدنا له المجد: "أنا أطلب من الآب" (يوحنا ١٤: ١٥)، فقد أعلن لنا رتبته كآدم الثاني والأخير، وبعدها مباشرةً قال: "معزِّياً آخر"، مؤكِّداً إلوهيته ومساواته للروح القدس، لأن الرسول يوحنا قال: "وإن أخطأ أحد فلنا بارقليط[٣] عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لأجل خطايانا" (١ يوحنا ٢: ١ - ٢). وهكذا يشترك الابن والروح في هذه الصفة، وهذا العمل الواحد أن كلاهما "بارقليط". وكما دُعي الابن "الحق"، دُعي الروح القدس "روح الحق" الذي أعطاه الرب بعد قيامته عندما نفخ وقال للرسل القديسين: "اقبلوا الروح القدس" (يوحنا ٢٠: ٢٢).

٢٣- وعندما ننال الروح القدس من المسيح يسوع، فإننا ننال معه يسوع نفسه، أي الحياة الجديدة التي لا يمكن أن تنفصل عن الابن والروح؛ لأنها أعطيت ضد

---

(١) راجع صلاة قسمة سبت الفرح "الموضع الذي لم يدخله ذو طبيعة بشرية".

(٢) لم ترد كلمة شفيع في نص ١ تيمو ٢: ٥ والكاتب أضاف الكلمة من أجل تفسير معنى كلمة وسيط.

(٣) حسب الترجمة القبطية والأصل اليوناني لنا معزي أو محامي وهي أصح وأفضل لأنها تشرح نص (يوحنا ١٤: ١٥ - ١٦).

الانفصال، ووُهبت لكي "تجمع المتفرقين إلى واحد". وعندما ننال الروح القدس من الابن، فإننا نصبح مثل الابن "هيكل الله"، (١ كور ٣: ١٦)؛ لأن الابن هو الهيكل الحقيقي والأوحد الذي حلَّ فيه "كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢: ٩)، ومنه أي من هذا "الملء" (يوحنا ١: ١٦)، أخذنا نحن هذا الاسم بسبب حلول الروح القدس فينا في يسوع المسيح الذي أحبنا محبة أبدية.

٢٤- ونحن نأخذ روح الحق حسب وصية الرب لنا قائلاً: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر .." (يوحنا ١٤: ١٥). وهكذا وضع المحبة قبل إعلان النعمة، مؤكِّداً أن الذين في محبة الله هؤلاء وحدهم هم الذين يعرفون أن المعزِّي الآخر أي روح الحق مثل المعزِّي المتجسِّد الابن له المجد كلاهما في جوهر اللاهوت الواحد، ولذلك لا يمكن أن يقبل أحد روح المسيح وروح الآب وروح الحق لكي ينفصل عن المسيح أو الآب أو الحق نفسه أي وحدة جوهر الثالوث؛ لأن غاية العطية هي الاتحاد بالله.

ولما طلب الرب يسوع المسيح أن يعطي الآب "المعزِّي الآخر"، فقد وضع هذه القاعدة التي لا يمكن لأي مسيحي أن يتعداها، وهي أن يطلب الروح القدس من يسوع المسيح لكي يكون شبيهاً بالابن وينال ختم بنوته. ولا يجب أن نفصل هذه "الطلبة" الخاصة عن باقي الطلبة في صلاة رئيس الكهنة ربنا يسوع المسيح؛ لأنه دخل الأقداس الحقيقية وقف أمام الآب لأجلنا مصلياً هذه الصلاة التي تفوق إدراك كل بشر والتي تبدأ: "أيها الآب قد أتت الساعة" (يوحنا ١٧: ١). فقد جاء زمان تقديم الذبيحة الحقيقية التي تفوق كل رموز وكل ذبائح العهد القديم. وبعد أن أعلن حقيقة خدمته، وقف ليصلي كرئيس كهنة من أجل الرسل القديسين (يوحنا ١٧: ٩)، مؤكِّداً أنه لا يتوسل مثل الخطاة ولا يتضرع مثل القديسين، بل يسأل في حضور التلاميذ لكي "يكون لهم فرحي"، أي فرح يسوع نفسه "كاملاً فيهم"، أي في قلوبهم (يوحنا ١٧: ١٣) مؤكِّداً أنه يملك ذات السيادة والمجد الذي للآب، وأنهم لا يجب إزاء هذه الحقيقة أن يخافوا أو يشكُّوا أو

يصابوا بصِغَرِ النفس، بل يطلبون برجاءٍ حي رجاءً في ذاك الذي قال: "مهما سألتم باسمي فذلك افعله لكي يتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله" (يوحنا ١٤: ١٣ – ١٤)، وهذا هو سر فرح الكنيسة وجسارة صلواتها؛ لأنها تعلم أن رئيس الكهنة ربنا يسوع المسيح هو واحدٌ مع الآب ومع الروح القدس.

٢٥- وبقول الرب: "لا أترككم يتامى"، أعلن قيامته؛ لأن اليتيم هو الذي يفقد "عائله". ونحن بعد آدم الذي مات وظل في قبضة الموت لم يكن لنا عائل، أمَّا الآن فلنا الرأس الذي لا يموت وغالب الجحيم والموت ربنا يسوع المسيح. وبغلبة الموت جعل الابن المتجسد ناسوته شريكاً في مجد الآب وفي إلوهية الآب، فَرَدَّ الإنسانية إلى شركة أبدية لا تقبل الانفصال؛ لأنه وحَّد إنسانيته بلاهوته وصارت فيه واحداً، حياةً واحدةً لربٍ واحدٍ يسوع المسيح.

٢٦- ولما طلب الرب يسوع المسيح، الروح القدس من الآب، ألهم الروح القدس بولس الرسول لكي يكتب لنا قائلاً: "وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبًّا أيها الآب" (غلا ٤: ٦). وهنا يقول المخلص نفسه في ذلك اليوم، أي يوم قبول الروح القدس سوف تعلمون "أنني في الآب والآب في وأنا فيكم" (يوحنا ١٤: ٢٠). ونحن جميعاً ندخل "مخاض" الولادة الجديدة منذ المعمودية المقدسة إلى أن نكمُل في المسيح، وننال المعرفة الإلهية لا سيما بسبب اشتراكنا في جسد الرب ودمه في السر المجيد الذي فيه نصبح واحداً مع الرب وشركاء جسده وشركاء المسيح (أفسس ٣: ٦)، وأعضاء جسده (١ كور ٦: ١٥)؛ لأننا بدون الإفخارستيا لا نصل إلى كمال عطية الحياة الجديدة التي تولد في المعمودية المقدسة، وتنمو في المسيح بالروح القدس، وتتغذى بقوة وهبة الاتحاد المقدس الذي يُعطى لنا في السر المجيد. وإذا قال الرب بفمه الإلهي: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧: ٣)، فإنه قال في موضع آخر: "مَن يأكلني يحيا بي وتكون له الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٤٠)، لأن هبة الحياة الأبدية هي هبة

واحدة من الثالوث القدوس، من الآب الذي أرسل ابنه الوحيد للعالم لكي نحيا به، وهكذا صارت إلينا بالابن وفي الروح القدس الذي ينقل إلينا هذه الحياة الواحدة الممجَّدة في الابن والآب والمعطاة لنا بواسطة الروح القدس.

٢٧- وهكذا نحتاج إلى الشفيع رئيس الكهنة ربنا يسوع المسيح الذي يوزِّع بنفسه علينا جسده ودمه بواسطة الخدام من الكهنة الذين أقامهم هو لكي يخدموا مذبحه المقدس ويوزِّعوا علينا خبز الحياة النازل من فوق من عند الآب بواسطة الابن والواهب الحياة للعالم (يوحنا ٦: ٢٣).

شفاعة المحبة:

٢٨- يتحدث الآب مع الابن، والابن مع الروح القدس، والروح القدس مع الآب والابن. وحديث الثالوث هو حديث أقانيم جوهر اللاهوت، وهو حديث المحبة الواحدة التي تجعل الآب يعلن للعالم كله: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". ومع أننا لم نسمع رد الابن على نداء الآب؛ لأنه أجاب بصمت الحمل وهو يقبل الروح الناري الذي أيضاً نزل بهيئة جسمية مثل هيئة حمامة، وهي أحد رموز تطهير الأرض، وهي تقدَّم عن فقراء الأبكار حسب شريعة موسى، ولكن الروح القدس أعلن محبته الوافرة لنا ومسرته في أن يكون طهارتنا الحقيقية، وحياتنا التي تلتصق بالحمل وبالحمامة لتكون قربان محبة. هكذا يجب أن نفهم شفاعة المحبة في حديث الثالوث الواحد غير المعلَن لأنه يفوق إدراك العقل، ونحن لم نأخذ إلاَّ القليل من المعرفة كما ورد في الأسفار المقدسة، ولم ندرك بعد قوة محبة الثالوث؛ لأن إدراكنا قاصر.

وفي مناسبة معينة قال الابن للآب: "مجِّدني"، وجاء رد الآب: "مجَّدت وأُمجِّد أيضاً" (يوحنا ١٢: ٢٨)، ولما سمع الجمع الواقف انقسم الذين سمعوا الصوت إلى قسمين. قال القسم الأول إنه حدث رعد. وقال القسم الثاني وهو أكثر استنارة قد كلَّمه

ملاك (يوحنا ١٢: ٢٩). أمَّا الإنجيلي الذي استنار بكلمة التعليم من الرب نفسه فقد سمع صوت الآب. وهذا يؤكد لنا أن حديث الثالوث أعظم من قدرتنا؛ لأن الرب طلب من الآب أن يطرح رئيس هذا العالم، أي الشيطان مؤكِّداً ذلك بقوله: "الآن – أي عندما تحدثت مع الآب – دينونة هذا العالم"، ثم أردف قائلاً: "الآن يُطرح رئيس هذا العالم" (يوحنا ١٢: ٣١). وقد طُرِحَ أب العداوة والبغضة وينبوع الحسد؛ لأنه حقاً قيل: "بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم"، فالشيطان هو روح العداوة، وقد قال عنه الرب إنه "قاتل"؛ لأنه أيضاً يُوصَف باسم "المهلِك"، وهو الاسم الذي أعطاه الروح القدس نفسه لذلك الكذاب المخادع.

وعندما يحل الروح القدس على الحمل ابن الله، ويتقدم الحمل إلى الصليب لكي يرفع حكم الموت عنا بقوته، فإنه في نفس الوقت "يطرح رئيس هذا العالم" (يوحنا ١٢: ٣١)، ويقدِّم لنا الخلاص من العدو وممن يمارس روح العداوة بين البشر.

٢٩– يقول الرب لنا: "أحبوا أعدائكم" (متى ٥: ٤٤)؛ لأنه هو يحب أعدائه، وهو يسكب روح المحبة في قلوب المؤمنين (رو ٥: ٥)، ويسكب الروح القدس شفاعته في أعداء الله بالأنين الذي لا يمكن أن ينقطع، فهو يشفع في القديسين (رو ٨: ٢٦ – ٢٧)، ويشفع في الذين يحبون الله من القديسين ويطلب لهم بأنينٍ لا ينقطع مجد الحياة الأبدية.

وعندما يطلب، فهو لا يطلب ما لا يملك، بل هو مثل ملكٍ عظيم يتحدث مع نفسه ويتمنى توزيع خيرات ملكه وثروته الهائلة على الفقراء والمعدمين، أو هو مثل أبٍ يتمنى نجاح ابنه ويتحدث مع نفسه دائماً عن هذا الابن، فهو منشغلٌ به دائماً إلى أن يصل الابن إلى ما يتمناه له الأب، وبشكل خاص عندما تصبح أمنية الابن هي ذات أمنية الأب. هكذا مع فارق هام، وهو أن ما يطلبه الروح لنا وما يفكر فيه هو أولاً: معلن. وثانياً: تحت سلطان الروح وحسب مسرة الآب وبإرادة الابن وبختم صليبه الذي

نزع العداوة. وثالثاً: أنه طلب حسب المحبة الفياضة الفائقة التي لا تحفظ لنفسها شيئاً، بل تعطي، وكما يقول الرسول: "لا تعيِّر" و "لا تتفاخر". فإذا كانت لا تعيِّر، فهي تشفع في أعداء الله. وإذا كانت لا تتفاخر، فإنها تطلب لهم السلام والمصالحة.

وعندما يقول الرسول: "إن الله يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١ تيمو ٢: ٤)، فإن هذه الإرادة لا تموت ولا تتحجر مثل إرادة البشر ولا تتوقف عن العمل بسبب الضعف، بل تعمل بقوة حسب روح المحبة الناري الذي يئن سائلاً رحمةً وطهارةً لنا من "برص" الخطية ومن نجاستها.

٣٠- أنا صفرونيوس عبد المسيح وخادمه، أسألكم جميعاً باسم ربنا يسوع المسيح أن يكون لكم غفران الآب، ومحبة الابن المصلوب، وتواضع روح القداسة الذي يقبل أن يسكن في الخطاة؛ حتى لا تكون عدم المغفرة طريق الموت لنا، وأن لا تصبح العداوة هي جحد محبة المصلوب، وأن لا تسكن البغضة في قلوبنا؛ فنفقد نعمة ومعونة الروح القدس الذي يشفع في أعداء الله.

أتوسل إليكم أن لا تكونوا في جانب المهلِك، وأن لا تقفوا مع العدو بالعداوة، بل أن تكونوا صفاً واحداً وإرادةً واحدةً مع الثالوث والقوات السماوية؛ لكي لا تخسروا مجد المحبة، وتفقدوا أكليل الغفران الذي تُوِّجَ به ربنا يسوع على الصليب؛ لأنه مات عنّا لكي نموت نحن عن العداوة، وصُلِبَ لأجلنا لكي نحيا نحن بالصليب شريعة الحياة الجديدة التي لا مكان فيها للبغضة والكراهية والأحقاد. فقد دَكَّ الربُ عرشَ الشيطان، وأقام غلبة الصليب، ونَصَرَ المحبة، ورفع علم الغفران يرفرف فوق الشريعة.

لقد صَلَبَ الربُ الداء الخفي القديم، وبالصليب صار جحد الذات طريق القيامة، وتحوَّل جحد الذات إلى أساسٍ لممارسة المحبة الحية التي تخلق الشركة الحقيقية؛ لأنه لا شركة بدون المحبة، ولا محبة بلا شركة.

٣١- لنغفر؛ حتى لا نفقد شفاعة ومعونة "الرب المحيي" المعزِّي المنبثق من الآب والمعطى بالابن، وحتى لا نصبح خارج شركة الثالوث.

لنطلب معونة الروح القدس لكي نشفع نحن في أعداء الله بالطلبة التي يقدر الروح القدس أن يحولها إلى حياة.

لقد خلقَنَا الله وجعلَنَا في هذه الحياة لكي نعمل معه وبه ولأجله لكي نرد إليه كل شيء وكل إنسان حسب مسرة نعمته.

خاتمة:

٣٢- صفرونيوس يسأل صلواتكم التي يعطيها الروح القدس، والتي تقدَّم على مذبح الثالوث القدوس، أي صليب ربنا يسوع المسيح.

ليرحمنا الرب إلهنا بصلوات آبائنا القديسين؛ لكي بشفاعتهم ننال ذات النصيب في ميراث المسيح الأبدي.